ملامح البعد الأخلاقي في الخطاب القرآني

سليـــم مزهـــود
كلية الآداب واللغات
المركز الجامعي عبد الحفيظ
بوالصوف - ميلـة
salimsimez@gmail.com

الملخّص:

إن النزعة الخلقية فطرية، مغروسة في أعماق النفس البشرية وهي تجلب الخير وتمنع الشر حين تظهر، ويظهر الشر حين تخبو، ولذلك فإن الخطاب القرآني يرغب الناس على تقوية هذه النزعة في دواخلهم.

إن الخطاب القرآني يتضمن مجالين عظيمين من الأخلاق، أما الأول فهو الأخلاق الروحية، وترتبط بمراقبة الله في نفس المؤمن وسلامة القلب واليقين، والاستقامة، وأما الثاني فالأخلاق الإنسانية وهي مجموعة من القواعد المنظمة للسلوك الإنساني وفقَ ما حدده القرآن، تحدد علاقة الإنسان بربه وبنفسه، وبالناس على اختلافهم.

الكلمات المفتاحية: الخطاب القرآني، الأخلاق، الإنسانية، الروحية، السلوك، الفطرة..

Résumé :

L'éthique est un inné, partie intégrante des profondeurs de l'âme humaine. Il apporte le bien et prévient le mal quand il apparaît. Par conséquent, le discours coranique veut renforcer cette tendance dans leurs âmes.

Le discours coranique comprend deux domaines: Le premier est l'éthique spirituelle, il est lié à l'observation de Dieu dans le même croyant et l'intégrité du cœur et la certitude et l'intégrité

La deuxième partie traite l'éthique humaine, qui est un ensemble de règles régissant le comportement humain tel que défini par le Coran, qui définit la relation entre l'homme et son dieu, et entre l'homme et lui-même, et avec les gens de toutes sortes.

Mots-clés: discours coranique, éthique, humanité, spiritualité, comportement, inné.

Abstract :

The ethics is an innates, integral part of the depths of the human soul. It brings the good, and prevents the evil when it appears. Therefore, the Quranic discourse want to strengthen this trend in Their souls.

The Quranic discourse includes two fields : The first is spiritual ethics, it is linked to the observation of God in the same believer and the integrity of the heart and certainty, and integrity

The second is human ethics, which is a set of rules regulating human behavior as defined by the Quran, which defines the relationship between human and his god, and between human and him self, and with people of all kinds.

Key words: Quranic discourse, ethics, humanity, spirituality, behavior, innate.

مقدمة:

تحكم الإنسانَ ثنائية الجسد والروح، فالجسدُ يشكّل الظاهر، أما الروح فتشكل الباطن وتتضمن صورة الباطن الجانب الأخلاقي، وهو قوامُ شخصية الإنسان المسلم السوي فالإنسان لا يقاس بطوله وعرضه، ولا بلونه وجماله، ولا بفقره وغناه، وإنما يقاسُ بأخلاقه وأعماله الخيّرة واجتهاده من أجل أهله وأصحابه ودفاعه عن دينه ووطنه وأمته، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات.آية:13).

وبما أن قيمة الإنسان مرتبطة بالأخلاق، فقد دعا القرآن إلى التخلق بالأخلاق الحسنة، في كثير من آياته، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾(النحل.آية:90)، ويقول تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف.آية:199) ويقول عزَّ وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات.آية:6).

وفي المقابل قد نهى الخطاب القرآني عن الأخلاق المذمومة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾(الحجرات.آية:11–12)، إذ إن صورة الإنسان شكلا جميلةٌ، يقول تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (التغابن.آية:3)، ويقول سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين.آية:4).

والسؤال المطروح في هذا البحث هو: ما مفهوم الأخلاق في الخطاب القرآني؟ وما هي أبرز خصائصها، وأبرز أنواعها؟

أولا؛ مفهوم الأخـــلاق:

أ- الأخلاق لغة:

الأخلاق جمع خلق، والخُلق، بضم اللام أو سكونها هو الدِّين والطبع والسجية والمروءة، وحقيقته أن صورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها[1].

وعرف الراغب الأصفهاني الأخلاقَ فقال: "الخَلْقُ والخُلْقُ في الأصل واحد... خص الخَلْق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخصّ الخُلْق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة"[2].

وجاء في المعجم الوسيط أن موضوع الأخلاق هو أحكام قيمية تتعلق بالأعمال التي توصف بالحسن أو القبح[3].

ب-الأخلاق اصطلاحًا :

عرَّف علي بن محمد الشريف الجرجاني الخلق بأنَّه: "عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويَّة، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقًا سيئًا"[4].

وعرف الأخلاقَ أبو علي بن مسكويه بقوله: "الخلق: حال للنفس، داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا رويَّة، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعيًّا من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب، ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء، أو كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكًا مفرطًا من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغتمُّ ويحزن من أيسر شيء يناله ومنها ما يكون مستفادًا بالعادة والتدرب، وربما كان مبدؤه بالرويَّة والفكر ثم يستمر أولا فأولا حتى يصير ملكة وخلقًا"[5].

والأخلاق عند الفلاسفة اليونان لا تعني الأفعال الجميلة أو القبيحة، ولا القدرة على الجميل أو القبيح، ولا التمييز بين الجميل والقبيح، وإنّما هو الهيئة

التي بها تستعد النفس لأن يصدر عنها الأفعال، فالخلق إذاً عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنية[6].

إن للانفعالات داخل النفس دورا كبيرا في الموقف إزاء الأشياء الخارجية، ومن ثمَّ يتجلّى السلوك –سيئا أو حسنا– في التعامل مع تلك المواقف، ويعطي النفس الفرصة الكبيرة في السيطرة على تلك الإحساسات والمشاعر لما لديها من أفكار واضحة فالسلوك الحسن يجب أن يقترن دائماً بالتفكير الواضح المتميز، فالحياة الفاضلة: هي الحياة طبقاً للعقل[7]، وتتضمن الأخلاق قيم الخير والشر، في المعاملات الاجتماعية والإنسانية.

ج–الأخلاق في القرآن الكريم:

عرف بعض الباحثين الأخلاق حسب الخطاب الرباني بأنها عبارة عن "مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، التي يحددها الوحي، لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه"[8]

وموضوع الأخلاق في القرآن الكريم هو: "كل ما يتصل بعمل المسلم ونشاطه، وما يتعلق بعلاقته بربه، وعلاقته مع نفسه، وعلاقته مع غيره من بني جنسه، وما يحيط به من حيوان وجماد"[9] .

ثانيا؛ خصائص الأخلاق في الخطاب القرآني:

أ– الربانية: إن مصدر الأخلاق التي دعا إليها الخطاب القرآني هو الكتاب والسنة النبوية الشريفة، وقد استودع الله ما في القرآن من علم شرعي عبادَه من أهل العلم، لأجل دعوة الناس وتربيتهم التربية الإيمانية، على أن يعملوا به، يقول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ

وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾(آل عمران.آية:79).

قال ابن ناصر السعدي: "وأما أهل العلم فكما أنهم مطالبون بالقيام بما عليهم أنفسهم، فإنهم مطالبون أن يعلموا الناس وينبهوهم على ما يحتاجون إليه من أمور دينهم، خصوصا الأمور الأصولية والتي يكثر وقوعها وأن لا يخشوا الناس بل يخشون ربهم"[11].

ب- التكامل: إن السلوك الأخلاقي هو انعكاس طبيعي للعقيدة، فالأخلاق تمثل ركناً من أركان الدين الثلاثة، التي لا يلحقها نسخ ولا تبديل، وهي العقائد وأصول العبادات، وأمهات الفضائل فهذه لا تختلف من نبي لنبي، ولا من شريعة لشريعة[12].

ج- الفطرة: يدعو الخطاب القرآني إلى أخلاق تحقق قيمة الإنسان، في مختلف الظروف والأزمنة، فالقرب من الأخلاق الحميدة والتحلي بها مرهون بصحوة الضمير الإنساني، المنبعث من أعماق الصدور الآمر بالخير والناهي عن الشر، إذ يستحضر هذا الضمير معاني الثواب والعقاب في الشريعة الربانية[13].

إن الأخلاق التي يدعو إليها الخطاب القرآني توافق العقلَ السليم والعاطفة السوية، إذ يجد المتحلّي بتلك الأخلاق ارتياحا وطمأنينة أثناء تعامله بها وكذلك يحصل منْ يُتعامل معه بها على الشعور الطيب والاطمئنان.

د- روح المسؤولية: تجعل الأخلاق التي يدعو إليها الخطاب القرآني الإنسانَ يحسّ بالمسؤولية تجاه المحيط الاجتماعي والإنساني والبيئي، فيسهم

في جعل العلاقات الاجتماعية والإنسانية أكثر إيجابية، والبيئة المحيطة أكثر نظافة وازدهارا.

ويبين الخطاب القرآني هذه المسؤولية في كثير من الآيات منها قوله تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾(الطور.آية:21)، ويقول: ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ (النساء. آية:111)، ويقول عز وجلّ: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ (الإسراء.آية:36)

ه- تناسب الباطن مع الظاهر: لا تكتفي الأخلاق التي دعا إليها الخطاب القرآني بالظاهر من الأعمال، ولا تتسرع في الحكم عليها، إنما ترجع تلك الأعمال كلها إلى داخل الإنسان ونيته التي يعلمُ حقيقة شرّها أو خيرها اللهُ تعالى وحده دون سواه.

إن الخطاب القرآني يعني دائما بالمخبر والجوهر أشد من عنايته بالصورة والمظهر إلا أنه لا يهمل المظهر، بل يرتب المخبر على المظهر، فهدفه الأول هو الجانب الروحي الخلقي، جانب السيرة والسريرة[14].

و- اللسان الطيب: يبين الخطاب القرآني أن الأخلاق التي يدعو إليها لا يمكن أن تستغني عن اللسان الطيب والحسن، فلا معنى لأخلاق صاحبها ذو لسان قبيح، ولهذا يأمر الله تعالى بالقول الحسن، يقول الله عز وجل: ﴿لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة.آية:83)، ويشدد الله تعالى على ضبط اللسان فيقول سبحانه: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق.آية:18).

ويمكن أن يكشف اللسان الخبيث عن نوايا خبيثة، فاللسان أفضل طريق لمعرفة الإنسان، يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد.آية:30).

ز- رقابة الله: يبين الخطاب القرآني أن على الإنسان الذي يتحلى بالأخلاق الحسنة أنْ يراقبَ اللهَ في نفسه، فلا يرائي بتلك الأخلاق، وإنما يتحلى بها ليرضي ربه، أينما كان، فينأى بنفسه عن أذية الآخرين وإن امتلك القدرة على ذلك، ويبقى ضميره يقظا فهو يعلمُ أنّ الله معه ومطلع على حركاته وسكناته، يقول تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ (الحديد.آية:4)، ويقول الله سبحانه: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (طه.آية:7)، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء.آية:1).

ح- جزاء الدنيا والآخرة: يبين الخطاب القرآني أن المسلم الذي يتحلى بالأخلاق الحسنة، سيلقى جزاء حسنا في الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق.آية:2-3)، ويقول الله سبحانه: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر.آية:10).

ثالثا؛ أنواع الأخلاق في الخطاب القرآني:

إن من أكبر أهداف الرسائل السماوية بعد تثبيت العقيدة في نفوس الناس، هو الإصلاحُ الأخلاقي، وإتمام مكارم الأخلاق، إذ إن الأخلاق تعدّ من صميم الدين، بل من صميم الحياة في جميع جوانبها.

1-الأخلاق الروحية:

يتضمن الخطاب القرآني مجالا واسعا في الأخلاق المرتبطة بالجانب الروحي التعبدي ارتباطا شديدا، ومن أبرز هذه الأخلاق **المراقبة**؛ بأنْ يلاحظ الإنسان نفسه في أعمالها وأقوالها وتحركاتها وخطواتها، ليقيمها على

الصراط السويّ، لأن إهمال ملاحظة النفس يؤدي بها إلى الطغيان والفساد[15]، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء.آية:1).

وأما العبودية لله فتكون بالتذلل والخضوع، وتتضمن العبودية لله تعالى السجود والتسليم والخضوع له سبحانه، يقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيءٍ، يَتَفَيَّؤا ظِلاَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ والشَّمَائِلِ سُجَّداً للَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ وللَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالملائِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (النحل.آية:48)، ويقول سبحانه: ﴿أَفَغَيْرِ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرجَعُونَ﴾ (آل عمران.آية:83).

قال عبد الرحمن السعدي: "الخوف، والخشية، والخضوع، والإخبات، والوَجَل: معانيها متقاربة فالخوف يمنع العبد من محارم الله، وتشاركه الخشية في ذلك، وتزيد أنَّ خوفه مقرون بمعرفة الله، وأما الخضوع والإخبات والوجل، فإنها تنشأ عن الخوف، والخشية فيخضع العبد لله، ويخبت إلى ربه منيباً إليه بقلبه، ويحدث له الوجل، وأما الخشوع فهو حضور القلب وقت تلبّسه بطاعة الله، وسكون ظاهره وباطنه، فهذا خشوع خاص وأما الخشوع الدائم الذي هو وصف خواصّ المؤمنين، فينشأ من كمال معرفة العبد بربه، ومراقبته، فيستولي ذلك على القلب كما تستولي المحبة"[16].

ومن الأخلاق الدالة على حقل العقيدة؛ الإشفاق بالرحمة والرقة والخوف من حلول المكروه[17]، يقول تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ (الطور.آية:26)، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ. وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ. وَالَّذِينَ

يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ. أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (المؤمنون.آية:57).

والرجاء بتوقع الخير من الله للعلم بأنه بيده، ولا مالك له غيره[18]، قال ابن قيّم الجوزية: الرّجاء هو النّظر إلى سعة رحمة اللّه، وهو عبوديّة، وتعلّق باللّه من حيث اسمه: البرّ المحسن، ولولا روح الرّجاء لما تحرّكت الجوارح بالطّاعة[19]، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللّه وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ. لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (فاطر.آية:29–30)، ويقول سبحانه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر.آية:9).

والخشوع بأن يلينُ القلب، وخضوعه، ورقته، وسكونه وحضوره وقت تَلبُّسه بطاعة الله فتتبعه جميع الجوارح والأعضاء ظاهراً وباطناً، قال الراغب الأصفهاني: "الخشوع: الضراعة وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح، والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب"[20]، وقال الشريف الجرجاني: "الخشوع، والخضوع، والتواضع: بمعنى واحد"، وقال أيضا: الخشوع هو الانقياد للحق، وقيل: "هو الخوف الدائم في القلب، وقيل من علامات الخشوع هو أنّ العبد إذا غضب أو خُولف أو رُدَّ عليه استقبل ذلك بالقبول" [21].

وقال ابن قيم الجوزية: "والخشوع في أصل اللغة: الانخفاض، والذّل والسكون"، يقول اللَّهُ تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (طه.آية:108)؛ أي سكنت، وذلّت وخضعت، ومنه وصف الأرض بالخشوع، وهو يبسها وانخفاضها وعدم ارتفاعها بالري والنبات[22].

إضافة إلى التقوى والحذر منه سبحانه واتقاء عذابه، يقول الله عز وجل: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ (المدثر.آية:56) والإنابة والتوبة بالرجوع إليه، يقول الله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ (الزمر.آية:54).

والسير في طريق الدين الصحيح الحنيف، بالإخلاص لله والتحرر من العيوب والآثام، إنه يصور قيمة سامية من القيم الأخلاقية[22]، يقول تعالى: ﴿وأن أقم وجهك للدين حنيفا﴾ (يونس.آية:105)، والقنوت بالطاعة والصلاة، يقول تعالى: ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ (البقرة.آية:116)، والتوكل عليه سبحانه في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة[24]، والتسليم والتفويض والانقياد له، يقول تعالى: ﴿فلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ (النساء.آية:65).

ومن الأخلاق المتعلقة بجانب العقيدة سلامة القلب من الأحقاد والضغائن، وما يشغله عن عبادة الرحمن، يقول تعالى:﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء.آية:87–89).

وإقامة الوجه لله، والشوق إلى لقائه وحبّه، يقول الله تعالى:﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الروم.آية:38) ويقول سبحانه: ﴿ومَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّه وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ (النساء.آية:125)، ويقول الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاء اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (العنكبوت.آية:5).

وذكر الله والتبتّل إليه، يقول الله تعالى: ﴿واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا﴾ (المزمل.آية:8)، ودعاؤه والابتهال إليه، يقول الله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجبْ لكم﴾ (غافر.آية:60).

أما التوحيد فقد احتل مركز الاهتمام في الخطاب القرآني، إذ إنه الطريق الصحيح للإنسان في حياته ومصيره الآتي، وهو جوهر العقيدة الإسلامية التي تترجمها أنواع العبادات لله تعالى ومنها عبودية الربوبية والألوهية بالقلب واللسان والبدن والمال، فالقلب متعلق بالله تعالى حبا ورجاء وخوفا ويقينا بالغيب، واللسان يذكره بالتسبيح والاستغفار والدعاء وتجنب الفحش من القول، والبدن يعبده بالصلاة والقيام والحفاظ عليه من الموبقات المهلكة، والمال بالزكاة والصدقات وأعمال الخير.

2-الأخلاق الإنسانية:

يربط القرآن في دعوته إلى دعوته إلى فضائل الأخلاق بين القول والعمل والقيمة والسلوك، بما يحقق الحياة الطيبة والعدالة الاجتماعية، ويجنب الفرد والمجتمع مختلف الأضرار.

وأبرز ما يحقق الحياة الطيبة والعدالة الاجتماعية بين الناس، إقامةُ العدل والأمانة والإحسان إلى الناس، وإيتاء ذي القربى، ويقابل ذلك تجنب الفواحش والمنكرات والبغي، ونقض العهود، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (النحل. آية:90-91).

ومن أبرز الأخلاق التي دعا إليها الخطاب القرآني؛ ما يلي:

-قول **الكلمة الطيبة**، انطلاقا من أثرها الإيجابي على نفوس الآخرين، يقول تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة.آية:82).

-**كظم الغيظ والعفو عن الناس**: يقول تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران. آية:138).

-**الإصلاح بين الناس**: ذلك لأن العمل على الإصلاح بيت الناس يزيل الضّغينة، والكره والحقد بين الناس، يقول: ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ (الأنفال.آية:1).

-**حُسن الظنّ بالنّاس**: إذ إن سوء الظن ينشر الكراهية ويفرق بين الناس، ولذلك قد نهانا الله عن سوء الظّن بالناس، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات.آية:12).

-**الصبر**: إن صبر المسلم على الابتلاء وأذى الناس، وتحمله المشقات في سبيل الله دون تذمر، يجعل ثوابه جزيلا، يقول الله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر آية:10).

-**ترك السخرية والغيبة والتجسس والنميمة**: نهى الخطاب القرآني عن الغيبة بأن يذكر الإنسان أخاه بما يكره، وعن التجسس والنّميمة بأن ينقل الكلام بين النّاس بقصد الإفساد، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات.آية:11-12).

-**العمل بالعُرف والإعراض عن الجاهلين:** دعا الخطاب القرآني إلى الكفّ عن المجادَلة، والإعراض عن اللّغو والجهل، والعمل بالأعراف السّائدة في المجتمع بما لا يتعارض شريعة الله يقول تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾(الأعراف.آية:199).

-**السّخاء والكرم:** إذ ينشر الكرمُ المحبّةَ والود بين النّاس، ويُزيل الضّغينة والحقد من قلوبهم، ويُنسي العيوب، يقول تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾(سبأ.آية:39).

-**الصّدق:** هو مُطابقة الأفعال مع الأقوال، انطلاقا من صدق النية قبل كل شيء، يقول تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة.آية:119).

-**الرّفق واللّين:** دعا الإسلام إلى الرّحمة والرّأفة في التّعامل، لأنها موجبة لمحبّة النّاس يقول تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران.آية159).

- **عدم التكبّر:** يأمر الله عبادَه باحترام بعضهم بعضا بغض النّظر عن ظروفهم وأحوالهم، ومعرفة الحقوق والواجبات وتأديتها، وقبول النّصيحة، يقول تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. (الحجر.آية88).

إن المجال الأخلاقي في القرآن يتشكل من مجموعة من المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، تعمل على تنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بالله تعالى وبنفسه، وبالناس سواء أكانوا أحبابا أم أعداء أم مجهولين، وكذا علاقته بالمحيط من حوله وبالموجودات في هذا الكون الواسع، وإن تلك الأخلاق عملية أقرها القرآن من أجل التحلي بها، ومصدرها شعور الإنسان بمراقبة الله، وهي توافق العقل والقلب على حد سواء، وتسعى لرقي الإنسان بحسن معاملاته مع الناس.

إن التحلي بمكارم الأخلاق يؤدي إلى سعادة المجتمع وتقدمه وانسجامه والاعتزاز بالنفس والتواضع، وإن تركها يؤدي إلى خلل في المجتمع وفساده.

الهوامش:

- **القرآن الكريم، قراءة ورش عن نافع.**

1- **الفيروزآبادي** (مجد الدين): القاموس المحيط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان (د.ت). ص:881.

2- **الأصفهاني** (الراغب): مفردات ألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، بيروت (د.ت). ص:297.

3- **مصطفى** (إبراهيم) وآخرون: المعجم الوسيط. دار الدعوة، استانبول، 1989م. ج:1، ص: 252.

4- **الجرجاني** (علي بن محمد الشريف): التعريفات. مكتبة لبنان، بيروت، 1978م. ص:101.

5- **ابن مسكويه** (أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب): تهذيب الأخلاق. دار طيبة للنشر والتوزيع والتجهيزات العلمية، مصر، ط:1، 2010م. ص:41.

6- **التلوع** (أبو بكر إبراهيم): الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي. منشورات جامعة قار يونس، بنغازي ط:1، 1995م. ص:146.

7- ينظر: المرجع نفسه. ص: 176.

8- **يالجين** (مقداد): التربية الأخلاقية الإسلامية. دار علم الكتاب، الرياض، ط:1، 1992م. ص: 75.

9- **الخزار** (خالد): موسوعة الأخلاق. مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت، ط:1، 2009م. ص:22.

10- **المرسي** (حسن السعيد): الأخلاق الإسلامية. منشورات مكتبة المتنبي، السعودية، ط:2، 1427ه. ص:53.

11- **السعدي** (عبد الرحمن بن ناصر): تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكريم المنان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط:1، 2002م. ص232.

12- **نصار** (جمال): مكانة الأخلاق في الفكر الإسلامي. دار الوفاء، مصر، ط:1، 2004م. ص:20.

13- **رضا** (محمد): الأخلاق عند الغزالي. بيروت، دار الجيل، ط:1، 1988م، ص:140.

14- ينظر: **دراز**(محمد عبد الله): من خلق القرآن. تحقيق: عبد الله إبراهيم الأنصاري، إدارة الشؤون الدينية، قطر، 1979م. ص: 17.

15- **الشرباصي** (أحمد): أخلاق القرآن. دار الرائد العربي. بيروت، لبنان، ط1، 1981م. ص: 9 .

16- **السعدي** (عبد الرحمن بن ناصر): تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، دار عالم الكتب، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1424هـ. ص:361.

17- انظر: **الشرباصي** (أحمد): المرجع السابق. ص: 33.

18- **الحليمي** (الحسين بن الحسن): المنهاج في شعب الإيمان. تحقيق: حلمي محمد فودة، دار الفكر، بيروت، 1979م، ج:1، ص: 518.

19- ينظر: **ابن قيم الجوزية** (شمس الدين): مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين. دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط:1، 2011م، ج:1، ص:43-44 .

20- **الأصفهاني** (الراغب): المرجع السابق. ص: 283.

21- **الجرجاني** (علي بن محمد): المرجع السابق. ص: 132.

22- **ابن قيم الجوزية**: المرجع السابق. ج:1، ص:520.

23- **الشرباصي** (أحمد): المرجع السابق. ص: 162.

24- ابن **رجب** (زين الدين بن أبي البركات): جامع العلوم والحكم. تحقيق ماهر ياسمين الفحل، دار ابن كثير، بيروت، ص: 40.